سينما

تمرينٌ على كتابةٍ مختلفة

أنتوني هوبكنز ممثلٌ ساحرٌ

نصّ نقدي يتمعّن في أداء أنتوني هوبكنز المستمرّ في تأدية أدوار سينمائية متنوّعة رغم بلوغه 87 عاماً، ما يُكسبه حضوراً يتميّز ببراعة وعمق

محمد بنعزيز

كيف يختار الناقد فيلماً لمشاهدته أمام فيض أفلام المنصّات؟ ثم كيف ينتقي فيلماً يستحقّ الكتابة عنه؟

هذه عملية اختيار فنية مرهقة. يمرّ يومٌ أو شهر كامل في استعراض الأفلام، من دون اكتشاف فيلم حقيقي. في هذه الحالة، يُمكن تتبّع ممثّل مفضّل، ليكون دليلاً للاختيار، حين تتوفّر أفلامه في نصف قرن، خاصة تلك المعلومة للمُشاهدين، فيتمكّنون من فحص ادّعاءات الناقد في كتاباته عنها. ظهر أنتوني هوبكنز ساحراً وهو يحاول إقناع سائح ديني أميركي بقدراته الخارقة، في Rite لمايكل هافستروم (2011). سائح فرويدي شكّاك، يحجّ إلى الفاتيكان ليكتشف ضرورة الله. حين يتأكّد من وجود الجنّ، يُصدّق. يستحيل أنْ يكون الجنّ موجوداً من دون الله. كما ظهر كاهناً دوغمائياً على حافة النازية في «البابوان» (2019)، لفرناندو ميريليس. يجري التفاوض في كنيسةٍ لها جداريات ولوحات من السرد الديني، تخبر عن عظمة النهضة البصرية الإيطالية في القرن الـ15. يملك هوبكنز كاريزما فنية وسياسية. هذا أثبته بتأديته دور ملازم في البحرية، يقود سفينة صغيرة إلى العالم الجديد، في The Bounty لروجر دونالدسون (1984): سفينة تتحمّل العواصف والجوع بفضل الانضباط. يُمكن لمعرفة الزعيم وخبرته أنْ تنقذا زورقاً يُطبّق فيه القانون. رغم السيطرة على الطبيعة، يُمكن للأهواء البشرية في الزعامة والفوضى وحكم الرعاع أنْ تدمّر سفينة كبيرة، فيها موارد هائلة. كلّ هذا يتحطّم بأيدي أصحابه، وهم يتأمّلونه. لا شيء تجريديّ. السرد حسّي ومجسّم. الأهواء والظلم تجلب الخراب. القانون يصنع الخير، والغريزة تصنع الشر. هكذا تتسلّل السياسة إلى أداء الممثل، وعروق السيناريو تضخّ العمق في الفيلم، باعتباره سينما ودرساً في القيادة.

هوبكنز مجرمٌ عنيف في «صمت الحملان» (1992)، لجوناثان ديم. صار مجرماً أنيقاً وخبيراً في أدب القرن الـ13، في «هانيبال» (2001)، لريدلي سكوت. مجرمٌ جمع بين المعرفة العميقة والذوق الفني الرفيع. يقارن بين خيانة يهوذا وإعدام زعيم من سلالة الضابط الذي يطارد المجرم. مجرم يشتهي ويرسم الضابطة التي تطارده. يرسم ساقها، ويكتب لها عن الرسّام القتيل كرافاجيو. يُعبّر عن تقديره لجمال النساء، بدءاً من القدمين. هناك مواجهة بين الطالبة البوليسية، ذات القدمين الجميلتين، والمجرم السجين والمغرور. كأنّ القضبان التي تفصل بينهما غير موجودة. يتشمّمها عن بُعد، فينكشف له ضعفها. تشمّمها وفحصها وحلّلها، وأبرز أصلها المتواضع. خَمّن من رائحتها أنّها ابنة عامل مناجم. هكذا تنكشف المحقّقة الشابة الطموحة في عالم مجانين قتلة، ذوي نزعة كلبية. لدى هانيبال طبع خفاشي. يحبّ مصّ الدماء. له أصل نبيل في جينالوجيا الحكاية، فأصله أمير أرستقراطي يرجع إلى الكونت دراكولا.

نجح الفيلم. يكشف نجاحُ أيّ فيلم طبيعة الجمهور أكثر مما يكشف مواهبَ صانعيه. ما مصدر الإعجاب؟ هذا بطل وغد بألف وجه. يحبّ المتفرجون حكايات الأوغاد الغامضين، الذين تتكشّف شخصياتهم تدريجياً. هكذا بُنِيَت الشخصية، بربطها بأهواء العقل الجمْعي لدى المتفرجين. إنّه شرّ بشري متعمّد. يقطن المجرم المثقف الأرستقراطي في «البندقية» العريقة. يكره المدن حديثة النعمة، كلاس فيغاس. رجل أنيق يعشق الفن، ويحاضر عن مؤسّس الأدب الإيطالي دانتي أليغري. الممثل مقنع في هذا الفيلم بشكل رهيب. يشعر المشاهد أنّ من يتكلم أنتوني هوبكنز الرجل لا الممثل. مجرم يقتبس لوحات وليام بليك. هذا تراث فني مفيد لتوفير مفتاح الشخصية، التي يؤدّيها الممثل بعد فهمها وتحسّس وسائلها في التعبير عن نفسها. هوبكنز ممثل يستبعد كلّ السطحيّ في الدور، فيتعمّق فيه عبر الإيماءات والمهارات غير اللفظية. التمثيل بالجسد لا باللسان. تتكرّر في أفلامه آراءه في الدور الذي يعشقه. دور المثقف ناقد الفن. في Shadowlands لريتشارد أتنبوروه (1994)، أدب إنكليزي يعتقد رؤّاده أنّ كلّ سكان أميركا رعاة بقر. يجري جدلٌ بين الناقد الخبير والمعجَبة: ما مصدر الإلهام؟ المطالعة أم التجربة أم الألم؟ هل الألم هدف أم وسيلة للإبداع؟ يجيب بوضوح. هناك فوضى في غرفة الشاعر. كتبه مبعثرة وحياته أيضاً. لكنْ، لا مشكلة طالما أنْ لا فوضى في جمجمته، لأنّه يعرف الأسئلة الأساسية التي يتعيّن عليه الإجابة عنها. تكتشف المعجَبة عجز الأدباء عن التعبير عن الحبّ حين يقعون فيه. تقع المصائب على المثقف العاشق قبل الأوان. إنّها التراجيديا التي لا يستحقّها. يؤدّي هوبكنز دور مثقف وأستاذ جامعي وعاشق للفن التشكيلي في أفلام كثيرة. هكذا تقع الجريمة على خلفيّة فنية تشكيلية في «هانيبال» و«التنين الأحمر» (2002)، لبريت راتنر. اللوحات والوجه المشوّه موضوع تخييلي رئيسي للكاميرا. يقول المجرم (هوبكنز) في «التنين الأحمر»: «من دون مخيلة، نصبح كجميع هؤلاء المغفلين البؤساء حولنا».

أين تكمن قوّة هذا الممثل: في فمه أم في جسده؟ تكمن قوّته الأدائية في تناسق الاثنين، وفي نظراته وطريقة نطقه العدوانية، وحركات الوجه التي تزيد معنى الكلمات التي تنطق. تعطي النظرة الباردة قوّة نووية للكلمات العدوانية. يتأكّد هذا في سلوكه في «هانيبال». عندما يحلم المتفرّج بهذا، يكون معجَباً ببطل غاية في التحضّر، وعيبه أنّه دموي. ظهر هوبكنز قاتلاً محترفاً، وآكِل لحوم بشر، ورئيساً أميركياً، ومخرجاً إنكليزياً، ومشعوذاً إغريقيا، وبابا ألمانياً. مستقبلاً، سيكون محلّلاً نفسياً نمساوياً. في العام المقبل، سيظهر في أفلام أكثر من تلك التي ظهر فيها في العام السابق. هذا منجز فني هائل بالنسبة إلى ممثل يبلغ 87 عاماً. ممثل قادر على التحوّل والتجوّل في سجل درجات وتلاوين نفسيات مختلفة، تبعاً للتطوّر الدرامي. ممثل كلّما زاد عمره، زادت جاذبيته. تتعدّد أدواره، ويحافظ على قوّة أدائه. الملاحظ أنّه قويّ في أدوار الشرّ، فإنْ دخل دورَ الخير ضَعُف قليلاً.

أنتوني هوبكنز: بطلٌ بألف وجه (أرتورو هولمز/FilmMagic)

> تتكرّر في غالبية أفلامه آراءه في الدور الذي يعشقه

«أفلامنا»: وثائقيات عن وقائع وأفراد

بيروت ـ العربي الجديد

تستمر المنصّة اللبنانية «أفلامنا» في عرض أفلام عربية على شاشتها (aflamuna.online)، في محاولة جادّة للتذكير بنتاج صناعة سينمائية عربية غير تجارية، وبإنجازاتٍ تستلّ من الواقع والذاكرة والاختبار والعلاقات والانفعالات ما يُساهم في بوح يخرج من الذاتيّ إلى العام. (*) «دروس خرايط» لفيليب رزق (2020، 61 دقيقة، 5/1): سفرٌ مع شخصيةٍ تُدعى «ك»، عبر الزمان والمكان، إلى الشرق الأوسط في مرحلة استعماره. يضع هذا «الفيلم المقالي» الصراعات كلّها في محادثة: بدايات المجالس العمّالية (الاتحاد السوفييتي)، إسبانيا 1936، المقاومة الفيتناميّة، كومونة باريس . الثورة الفرنسية الرابعة، وصولاً إلى الثورة السورية، المندلعة في 18 مارس/ آذار 2011: «كلّ هذا بهدف تحضيرنا للمرّة المقبلة، والزمن المقبل»، كما في تعريف المنصّة بالفيلم.

(*) «يلعن أبو الفسفاط» لسامي التليلي (2012، 82 دقيقة، بين 4/25 و5/8): عام 2008، ثار سكّان مدينة الرديف في تونس، التي تعتمد كلّياً على إنتاج الفوسفات، على فساد الدولة، والظروف القاسية وغير الصحّية والحرجة التي يعيشونها. ردّاً على ثورتهم واحتجاجهم، اعتمد نظام زين العابدين بن علي القمع والبطش والطغيان. رغم ذلك، كانت تلك الثورة أول حركة شعبيّة احتجاجية ضد نظام الدولة البوليسية. ومع أنّها لم تحقّق نجاحاً كاملاً، أشعلت شرارة المقاومة في الشعب التونسيّ، ونبّهته على تدهور الحريّات. فبطريقةٍ ما، ثورة تلك البلدة مهّدت الطريق لـ«ثورة 2011»، والربيع العربي.

(*) «شظايا الأحلام» لبهية بن الشيخ الفقون (2018، 75 دقيقة، بين 2 و5/15): ترصد الكاميرا في الشوارع وقائع المواجهة مع متظاهرين يائسين من الحلول والإصلاحات، يقومون بتظاهرات عمّالية حاشدة. كما ترصد ما فعله الأطباء في إضرابهم: «فيلمٌ يتجرّأ على الخوض في المشكلات الحيوية والمصيرية في حياة بلد المليون شهيد، من أجل الحرية والكرامة والحياة الأفضل والسلام»، كما في التعريف به.

(*) «السّطح» لكمال الجعفري (2006، 61 دقيقة، بين 9 و5/22): يُقدّم هذا «الفيلم الهادئ»، على نحو مُخادع، لوحةً لأسرة الجعفري في الرملة ويافا، ويحوم بين ذاكرتين توثيقية وسينمائية، بتوجيهٍ من كاميرا رشيقة، تتحرّك بوتيرة لا تهدأ بين غرف البيوت المسكونة، التي طاولها الخراب، وعصف بها الدمار. يشير العنوان إلى السّطح غير الموجود، في البيت الذي استقرّت فيه أسرة الجعفري عام 1948. بيتٌ لم يُجهَّز بعد، كان مشروع بناء لم يكتمل. يوظّف السكون والفضاء خارج الشاشة حسّاً بالانقطاع، وبالوقت الذي يمضي في الانتظار، وبأثر الحوادث، وبالحيوات التي عاشها الإنسان في أمكنة أخرى. كما يكشف ما يقوم به الجعفري من توظيف مُدهش لـ«قالبه»، المتمثّل في أسرته: يكشف الأثر الذي يخلّفه روبير بريسون عبر توظيف الممثلين غير المحترفين موديلاتٍ ينبع أداؤها من حضورها، لا من تمثيلها.

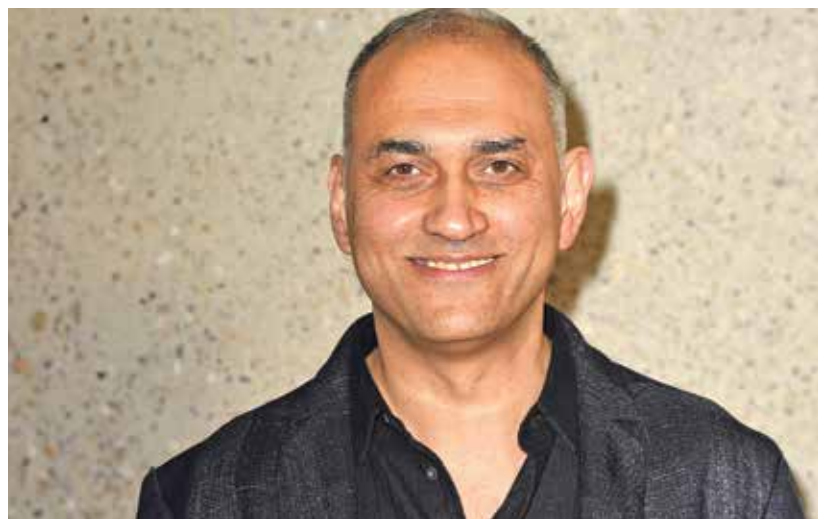

كمال الجعفري: ذاكرتان توثيقية وسينمائية في «السّطح» (Getty)

أقوالهم

Scarface حاز شهرة كبيرة. أكثر فيلم أثّر في المشاهدين وصدمهم. لم أجرؤ على الظهور بين الناس بعد بدء عروضه. ليلة افتتاح العروض، ذهبت إلى حفلة خاصة به. فور دخولي، ساد صمتٌ وأصبحت وجوه الناس ساكنة. اقتربت مني ليزا مينيلّي مندهشة، وكانت الوحيدة التي لم تشاهده. سألتني: «ماذا فعلت بهؤلاء الناس؟».

آل باتشينو

أبدى روبرت داوني جونيور (ويكيبيديا) رغبته في العودة إلى دور توني ستارك. آيرون مان. لكنّ هذا لن يتحقّق في عهد رئيس «مارفل» كيفن فايغي، الذي صرّح قائلاً إنّ الشركة لا تستطيع فعل ذلك، وستحتفظ بتلك اللحظة ولن تلمسها مجدّداً ولن تُغيّرها: «عملنا أعواماً لتحقيق ذاك المشهد، ولن نتراجع أبداً عن هذا».

خليل حنون

«أوبنهايمر» (فيسبوك) يقف على أساس سردي مُتهالك ومهترئ، ويعرض من منظور واحد تنقصه المصداقية في عرض الحقيقة كاملة وواضحة ومن دون انتقائية. لا أنكر روعة الشكل التعبيري في طريقة كريستوفر نولان في الحديث عن الفيزياء ونظرية الكَمّ، ومواضيع علمية أخرى. لكنّ السياسيّ يمثّل وجهة نظر واحدة فقط.

عبد الكريم يسري

أفعالهم

No Way Up لكلوديو فَاي، تمثيل ويل أتنّبورو و**فيلّيس لوغان** (Getty): تتوقّف طائرة مدنيّة بشكل خطر قرب حافةِ وادٍ، فيُحاصر الركّاب وفريق العمل في جيبٍ هوائيّ. ينضب مخزونهم الجوّي سريعاً، ويبدأ صراع مروّع من أجل البقاء على قيد الحياة، بينما تنتظرهم مخاطر جمّة من الجوانب المختلفة.

370 Article لأديتْيا سوهاس جامْبهال، تمثيل **يامي غوتام** (WireImage): بعد استفحال الفساد السياسي، المترافق مع أنواع أخرى من الفساد، إلى جانب تفشّي حالة إرهابية في البلد، يتمّ اختيار عميل ميداني شاب، موظّفٌ في مكتب رئيس الوزراء، لتنفيذ مهمّة سرّية للغاية، هدفها الأساسي قمع الإرهاب وإيقاف الفساد. هذا يحتاج إلى أفعالٍ لن تكون كلّها سليمة وغير عنفية.

Five Blind Dates لشوان سويت، تمثيل **شُوَانغ هيو** (Getty): ليا، في عشرينيات عمرها، وصلت إلى طريق مسدودة: المقهى الذي ورثته عن جدّتها يعاني صعوبات، واحتمال مشاركتها في حفلة زفاف شقيقتها الصغرى من دون موعد غير وارد كلّياً.

«نابليون» مُرمّماً في «كانّ 2024»: استكشافات بصرية

باريس ـ العربي الجديد

«كلاسيكيات كانّ» أحد أبرز البرامج الموازية للمسابقة الرسمية، في مهرجان «كانّ» السينمائي، لاستعادته أفلاماً قديمة تُعتبر عناوين أساسية في النتاج السينمائي في العالم، بنسخٍ مرمّمة، تُتيح لمهتمّين ومهتمّات مُشاهَدة/إعادة مشاهدة تلك الروائع في صالة مخصّصة بالعروض السينمائية، وعلى شاشة كبيرة. في الدورة الـ77 (14 . 25 مايو/أيار 2024) للمهرجان، تُنظّم النسخة الـ20 لـ«كلاسيكيات كانّ»، التي تعرض 30 فيلماً، وافتتاحها (14 مايو/أيار الجاري) معقودٌ على نسخةٍ مُرمّمة من الجزء الأول من «نابليون» (1927) لآبل غانس (1889 . 1981)، التي تبلغ مدّتها ثلاث ساعات و40 دقيقة: «تحفة أسطورية معروفة لعشاق السينما في أنحاء العالم، وعمل طموح من عصر السينما الصامتة»، كما في تعريفٍ رسمي به، أضاف أنّه «أحد أهم منجزات ترميم الأفلام». وبحسب بيان إدارة البرنامج، تطلّبت «إعادة إحياء النسخة الأصلية» 16 عاماً، قبل استعادتها «جودة الفيلم وبريقه»، بمشاهدة نحو 100 كلم. من الشرائط المُصوّرة، والتنقيب في ملاحظات غانس لإتمام الترميم بالنسخة المنتظر عرضها: «استخدمت مصادر قديمة أيضاً لإعادة اكتشاف القصة الأصلية، وإعادة البناء الاستثنائي للفيلم، الذي تبلغ مدّته الكاملة سبع ساعات». يُذكر أنّ «نابليون» (لآبل غانس فيلمٌ آخر بعنوان «نابليون بونابرت»، أنجزه عام 1935) يُعتَبَر «طموحاً للغاية» عند إنجازه قبل 97 عاماً: «إنّه عمل تجريبي وَاكَب آنذاك الرغبة الجامحة في استكشاف حدود الوسيط السينمائي، وسَبْر تخومه القصوى»، كما في تعليق نقدي للزميل محمد هاشم عبد السلام (Cinarts24، في 26 إبريل/نيسان 2024)، أضاف أنّ بعض هذه الاستكشافات «نجح» وبعضها الآخر «لم ينجح، أو لم يحظَ بإقبال». ففي «نابليون»، ابتكارات تقنية وجمالية عدّة في تنفيذه: «كاميرات مُثبتة على الخيول، ونهاية ثلاثية شهيرة، تعرض ثلاثة أحداث على ثلاث شاشات في الوقت نفسه، وهذا بفضل الممثلين وآلاف الكومبارس».